وزارة التعليم العالي
المجلس الأعلى للجامعات
لجنة قطاع دراسات الطفولة ورياض
الأطفال

التربية الجنسية في الطفولة المبكرة
(رؤية نفسية إكلينيكية)

إعـــــــــداد

الأستاذ الدكتور/ جمال شفيق أحمد عامر

أستاذ علم النفس الإكلينيكي

قسم الدراسات النفسية للأطفال

معهد الدراسات العليا للطفولة -جامعة عين شمس

وأمين لجنة قطاع دراسات الطفولة ورياض الاطفال بالمجلس الاعلى للجامعات

مايو ٢٠١٥

مقدمة

تبدأ الحياة الجنسية للإنسان بصفة عامة مع بداية الشهور الأولى من حياته، والنشاط الجنسي البشري وظيفة طبيعية توجد في كل مراحل حياة الإنسان ونموها وتطورها، وإذا كان الجنس لدى عالم الحيوان يمارس بطريقة بيولوجية تلقائية خام غفل من المعنى أو الروابط أو التدريب أو التعليم أو العلاقات، فإن ذلك يفسر لنا عدم وجود أي من حالات الانحراف أو الشذوذ الجنسي في عالم الحيوانات بصفة عامة.

أما عند الإنسان فإن الأمر يختلف تماماً ، حيث تخضع النواحي الجنسية لديه لقوانين الوجود الإنساني، وتفصح عن نفسها إنسانياً من خلال علاقة إنسانية مركبة معقدة، يسيطر فيها العقل والفكر على النواحي الفسيولوجية، مما يجعل السلوك الإنساني لا يتحقق بمعناه الشامل المشبع إلا من خلال هذه العلاقة الإنسانية التي يهيمن فيها العقل على الشعور أكثر من أي عامل آخر، لدرجة أنه يكون الوحيد المتحكم في كل الحياة الجنسية الخاصة بالفرد.

وليس من شك في أن الحضارة الإنسانية تقوم في مجملها على الارتقاء بالجنسية الحيوانية في إطار اللذة المباشرة إلى اللذة الانسانية المعنوية، حيث تعمل التربية على التسامي بالغرائز الدونية للإنسان إلى اتجاهات أرقى وأبقى، فاللذة الحسية المباشرة هي ما يأسر الأطفال حيث تدور لذاتهم حول الجسم وخاصة الأعضاء الشبقية منه، ولذا كان من الطبيعي أن تكون هناك مشاكل مرتبطة بالتربية الجنسية. فإذا اضطربت التربية الجنسية في الطفولة، اضطربت معها الجنسية الراشدة، حيث نشهد ما يسمى بالانحراف الجنسي مثل إدمان العادة السرية والجنسية المثلية والولع الجنسي بالأطفال والاحتكاك الجنسي في الزحام وارتداء ملابس الجنس الآخر والسادية والمازوخية والاغتصاب وغيرها من الاضطرابات الجنسية مثل رفض الجنس والعنة عند الذكور والبرود عند الإناث وآلام الجماع الجنسي وفقدان الرغبة الجنسية وعدم القدرة على الوصول إلى النشوة الجنسية والهوس الجنسي (١).

ولقد جاء في توصيات المؤتمر العربي الأول للصحة النفسية ، الذي عقد في القاهرة في ديسمبر (١٩٧٠) في بند التوصيات الخاصة بمراحل العمر المختلفة ، الطفولة والشباب

والشيخوخة والرعاية الأسرية، بخصوص التربية الجنسية ما يلي: ضرورة العمل على نشر الثقافة الأسرية بما في ذلك الثقافة الجنسية منذ سن مبكرة ، في إطار التقاليد والعادات الخاصة بمجتمعنا، لما لهذه الثقافة من آثار بناءة في تكوين الفرد والأسرة والمجتمع (٢).

ونظراً لأهمية بدء إكساب الأطفال لمبادئ التربية الجنسية السليمة في مرحلة الطفولة المبكرة ، فقد توالت بعد ذلك وأجمعت وأكدت العديد من توصيات المؤتمرات تباعاً على أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهلها في أي عملية تربوية نقوم بها، فالتربية الجنسية جزء لا يتجزأ من التربية العامة الشاملة، وهي لا تقتصر على مرحلة دون مرحلة، بل تبدأ مع الطفل منذ طفولته المبكرة وبالقدر الذي يسمح به نموه العقلي، وتستمر معه خلال مراحل الطفولة المتتالية ، وتعده في نهايتها لمرحلة المراهقة (٣)، (٤)، (٥).

تعريف التربية الجنسية Sex Education

التربية الجنسية هي ذلك النوع من التربية التي تمد الفرد بالمعلومات العلمية والخبرات الصالحة والاتجاهات السليمة إزاء المسائل الجنسية، بقدر ما يسمح به نموه الجسمي والفسيولوجي والعقلي والانفعالي والاجتماعي، وفي إطار التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع، مما يؤهله لحسن التوافق في المواقف الجنسية، ومواجهة مشكلاته الجنسية في الحاضر والمستقبل مواجهة واقعية تؤدي إلى الصحة النفسية (٦).

أهداف التربية الجنسية في مرحلة الطفولة المبكرة

يمكن تحديد أهم الأهداف الرئيسية لإكساب وتنمية مبادئ التربية الجنسية للأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة فيما يلي:

- تزويد الأطفال بالمعلومات الأساسية السليمة عن ماهية النشاط الجنسي.
- اكساب الأطفال الألفاظ العلمية المتصلة بأعضاء التناسل والسلوك الجنسي.

- تنمية السلوكيات الجنسية السوية للأطفال لمساعدتهم على الاعتماد على النفس والوعي بهويتهم الجنسية والأدوار المنوطة بها.
- مساعدة الأطفال على اكتساب الخبرات والاتجاهات الصحيحة التي تكون عوناً لهم على عدم التعرض للأخطار.
- تدريب الأطفال على الاستجابة السريعة لعلامات الخطر وضبط الذات.
- تدريب الأطفال على اكتساب بعض السلوكيات والمهارات الجنسية الحياتية في مجال العناية بالذات.
- اكساب الأطفال التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية الخاصة بالسلوك الجنسي.
- تكوين اتجاهات سليمة نحو الأمور الجنسية والنمو النفسي والتكاثر والحياة الأسرية (٧).

أهمية بدء التربية الجنسية في مرحلة الطفولة المبكرة

تؤكد الاتجاهات العالمية الحديثة في مجال البرامج والأنشطة التعليمية الخاصة بالأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة على أهمية اكساب الأطفال مبادئ التربية الجنسية ، لأنها تُعد بصفة أساسية من المتطلبات الهادفة التى تساعد الأطفال على البناء السليم لشخصياتهم، وتنير لهم جانباً حيوياً من علاقاتهم مع أجسامهم وأيضاً مع أفراد الجنس الآخر، إضافة إلى توجيههم ووقايتهم من صور وأشكال الانحراف والأخطار والمشاكل والاضطرابات المرتبطة بالحياة والعلاقات الجنسية السليمة السوية في المستقبل.

والتربية الجنسية تكون أكثر فاعلية وتأثيراً ومصداقية عندما تبدأ على الأطفال في سن مبكرة وبشكل مستمر ومتدرج، وهذا سوف يعد الأطفال لفهم الأمور الأكثر صعوبة وغموضاً فيما بعد مراحل العمر التالية ، وفي مرحلة البلوغ والمراهقة والرشد وقبل الزواج وأثنائه وبعده.

ويجمع ويتفق المتخصصون في مجال الصحة الجنسية على أن اكساب الطفل السلوكيات الجنسية في مرحلة مبكرة من عمره ، يعمل على تحقيق أهداف التربية التي تتناول إعداد

المواطن للحياة حيث تساعد الفرد على التكيف مع ذاته، وعلى التعايش مع التغيرات الحادثة، وعلى متطلبات الحياة، كما تجعله قادراً على تحمل المسئوليات ومواجهة المشكلات، ومقابلة التحديات التي يفرضها العصر، وتحقق ثقته بنفسه، وتساعده على التصرف بفاعلية في المواقف المختلفة وعلى التفاعل الاجتماعي مع الحياة بصفة عامة (٨).

وعلى الرغم من هذا كله : فلقد تعود المجتمع العربي على التعامل مع الجنس في الطفولة كونه نشاط غير موجود أصلاً، ويتركون أمر وجوده أو ارتقائه للصدفة أو للتقاليد الاجتماعية غير التربوية، غير أنه ومن المؤكد علمياً ويمكن ملاحظته من جانب المربين الذين يقومون بالتعامل مع الأطفال في البيت أو الحضانة، إن الطفولة ليست بريئة من الأفعال والأنشطة والاهتمامات الجنسية، ولكن كيفية التعامل معها تكون مفقودة أو مكبوتة فيتجنبوها أو يهملوها، وبالتالي تتفاقم وتصبح مصدراً للتوتر والانزعاج الطفلي، وقد تسبب له قلقاً مزمناً يعوق تطوره الانفعالي السوي (٩).

حتى لقد وصل الأمر إلى أن البعض يرى أن تعليم الجنس للأطفال سوف يفتح باب التفكير فيه، مما يفسد أخلاق الأطفال، بل وينعكس ذلك على المجتمع في أن تفسد الأخلاق ويعم الفساد، وهؤلاء للأسف هم متخوفون ولديهم حيل وسواسية من الكبت والإنكار والتكوين ألعكسي وينسون أن مجتمعنا سواء الزراعي أو البدوي يعلم أبناءه التربية الجنسية بصورة بسيطة جداً، وهي تتم من خلال معايشة الحيوانات المنزلية أو حيوانات المزرعة، ولا ننكر أن معايشتنا للطيور ونحن أطفال جعلتنا نتعلم كثيراً عن الجنس، وأنه الطريق إلى الانجاب ، دون أن نكون في حاجة إلى تساؤلات محرجة للآباء (١٠).

أيضاً فإنه من ضمن الأفكار الخاطئة الشائعة عند بعض الوالدين والمربين ، أن التربية الجنسية في مرحلة الطفولة تزيد من فضول الأطفال ، وتزيد من اهتمامهم بالأمور الجنسية، كما أنها قد تؤدي إلى التجريب والإفراط في السلوك الجنسي المتحرر من المسئولية (١١).

ولعله في ضوء ما تمت الإشارة إليه فيما سبق ، لم يكن غريباً أو مثيراً للتعجب ما انتهت إليه نتائج الدراسة التحليلية المقارنة لبعض أبعاد التناقص والتوافق في التربية الجنسية لطفل الروضة في مصر والدول الأوروبية، والتي أكدت وجود قصور كبير في مناهج رياض الأطفال، فيما يتعلق بتبني مثل هذا النوع من التربية في مصر، وكذلك ندرة تناول الباحثين لمثل هذا الموضوع بالذات، رغم أن التربية الجنسية للطفل في مرحلة الروضة تمثل في حد ذاتها ضرورة حتمية لمواجهة بعض المشكلات الخطيرة التي تجتاح المجتمع المصري (١٢).

أيضاً فقد أوضحت أحد الدراسات الحديثة في مجال التربية الجنسية لأطفال الروضة خلال إجراءات الدراسة الاستطلاعية ، من خلال قيام الباحثة بالإطلاع على دفاتر تحضير عدد (٢٥) معلمة رياض أطفال لمدة عام دراسي كامل لبيان مدى تضمين السلوكيات المرتبطة بجوانب التربية الجنسية المناسبة لطفل الروضة، فقد لوحظ قصور شديد في الأنشطة المقدمة للطفل الخاصة بهذا المجال.

كما قامت الباحثة بإجراء استطلاع رأي هؤلاء المعلمات لبيان مدى معرفتهن حول التربية الجنسية للطفل والأسباب التي أدت إلى إهمال تعليم الأطفال سلوكيات التربية الجنسية، وقد أسفرت تلك الدراسة عن أنه : نسبة (١٠٠%) من أفراد العينة اتفقن على الحرج البالغ في تناول هذا النوع من التربية، وكذلك صعوبة كيفية تعليمه للطفل، ونسبة (٩١.٤%) من أفراد العينة أوضحن أنهن لم يدرسن مقرر خاص بالتربية الجنسية للطفل ضمن المقررات الدراسية بالكلية، ونسبة (٨١.٣%) أشرن إلى أن هناك قصور في المحتوى الخاص بكتب الأطفال حيث لم تتناول فيها البطاقات سلوكيات التربية الجنسية، ونسبة (٩٠%) أوضحن عدم توافر نماذج من الأنشطة التي تتناول تنمية سلوكيات التربية الجنسية للطفل في دليل المعلمة (١٣).

ورغبة من الباحث الحالي في التعرف الدقيق على مؤشرات توزيع خريطة اتجاهات واهتمامات وأهداف معظم الدراسات والبحوث المختلفة التي اهتمت بتناول كل الأمور والموضوعات الجنسية لدى الأطفال والمراهقين(أي المرحلة أو الفترة التي يتم فيها إكمال

مراحل النمو الجنسي)وحصرها في حدود المستطاع ،وذلك في مصر فقط خلال النصف قرن الماضي أي منذ عام (١٩٦٥) وحتى الآن، فقد تبين ما يلي:

- تم إجراء حوالي (٥٥) دراسة تشمل الأطفال والمراهقين بصفة عامة.
- يخص الأطفال من مجموع هذه الدراسات حوالي (٢٥) دراسة، وكان توزيع أهدافها كما يلي: (٦) تربية جنسية، (٦) مشكلات جنسية، (٥) تحرش جنسي، (٤) إساءة جنسية، (٣) تنميط جنسي، (١) هوية جنسية.

- يخص المراهقين من الجنسين حوالي (٣٠) دراسة، كان توزيع أهدافها كما يلي: (٦) سيكولوجية البغاء في المراهقة، (٦) زملة أعراض ألحيض (٥) اضطرابات الدورة الشهرية، (٤) التحرش الجنسي لدى المراهقين، (٢) المشكلات الجنسية للمراهقات (٢) الاستمناء في مرحلة المراهقة (٢) التربية الجنسية للمراهقين، (١) اضطراب التلصص الجنسي لدى المراهقين، (١) الوعي بالأمور الجنسية لدى المراهقات، (١) عوامل إثارة الدوافع الجنسية لدى المراهقين.

وبنظرة فاحصة وسريعة لإعداد و مؤشرات وأهداف تلك الدراسات، يتضح ببساطة أن الدراسات التي تناولت موضوعات التربية الجنسية للأطفال (ستة) فقط، في حين أن الدراسات التي تصدت لتناول الاضطرابات والتحرش والإساءة (١٥) دراسة ، في حين كانت هناك (٤) دراسات تخص موضوع التنميط والهوية الجنسية .

أما بالنسبة لمرحلة المراهقة فقد كانت هناك فقد (دراستين) للتربية الجنسية و(واحدة) للوعي بالأمور الجنسية و(٢٧) دراسة تصدت للمشكلات والاضطرابات والانحرافات.

ومما لا يدعو مجالا للشك في هذا المقام : أن السلوك الجنسي والمعلومات الجنسية لا تعطى في إطار علمي من مصادر موثوق بها للأطفال في مجتمعنا، وأنه يوجد ضعف ونقص

وإهمال للتربية الجنسية ، وهذا في حد ذاته يعتبر واحداً من أسباب الانحرافات الجنسية، ومن أخطر ما يمكن أن نترك أطفالنا يحصلون على معلوماتهم الجنسية من مصادر غير مضمونة، لأن الكثير من الآباء والمربين يهملون التربية الجنسية، ولا يوجهون أطفالهم بخصوص التربية الجنسية، والأدهى والأمر أن بعضهم ليس لديهم المعلومات الصحيحة، وليس لديهم إجابات صحيحة عن أسئلة أطفالهم، ويخفى عليهم أن التربية الجنسية ضرورية في الإطار العام للتربية والتعليم، ويجب أن تكون تنفيذاً تربوياً لخطة علمية مدروسة (١٤).

مناسبة التربية الجنسية لخصائص الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة

تتميز مرحلة الطفولة المبكرة بصفة خاصة عن بقية مراحل النمو الأخرى للأطفال بعدة خصائص تجعلها صالحة ومناسبة بكل المعايير النفسية والتربوية والاجتماعية والثقافية والتعليمية لبدء تعلم واكتساب مبادئ التربية الجنسية وذلك على النحو التالي:

- تعتبر مرحلة الطفولة المبكرة من أهم مراحل نمو الإنسان التي تغرس فيها البذور الأولى لشخصية الطفل، ويتشكل فيها تفكيره وعاداته واتجاهاته وميوله وسلوكه.
- تُعد مرحلة الطفولة المبكرة من أخصب المراحل التربوية التعليمية التي يتم فيها التعليم وتمهد لعملية ومسار وشكل وطبيعة كل العملية التربوية في المستقبل.
- يكون الأطفال في هذه المرحلة فكرة واضحة عن أنفسهم، ومفهوماً محدداً للذات الجسمية والنفسية والاجتماعية والخلقية والجنسية.
- يكون نمو الأطفال سريعاً وحساساً في جميع نواحي الشخصية.
- يكتسب الأطفال قدراً كبيراً من الكلمات والمفاهيم والتعبيرات والمعاني التي تنمي محصولهم اللغوي ، من خلال التعامل والتفاعل السليم والتجاوب مع متطلبات ومهارات الحياة الاجتماعية.
- يتصف خيال الأطفال في هذه المرحلة بالخصوبة الزائدة ، وذلك بسبب نقص قدراتهم الحسية، وعدم قدرتهم على التفرقة بين الحقيقة والخيال.

- يكون النمو العقلي سريع جداً خلال هذه المرحلة حيث أن نسبة ما يقرب من (٧٥%) من النمو العقلي للأطفال يتم بصورة نهائية خلالها.
- يطلق على هذه المرحلة (عمر اللعب) ، وذلك لأن الأطفال يقضون الوقت الأكبر من يومهم مشغولين باللعب ، دون تعب أو ملل.
- كما يطلق على هذه المرحلة (عمر الاستكشاف) ، لأن الأطفال في هذه المرحلة يكونوا شغوفين جداً باكتشاف كل ما هو موجود بالبيئة المحيطة وفهمها والتعرف عليها.
- أيضاً يُطلق على تلك المرحلة (مرحلة الأسئلة الكثيرة) ، وذلك بخصوص كل الأشياء التي تقع عليها أعينهم.
- كذلك يُطلق على هذه المرحلة بأنها (مرحلة العمر المشكل)، وتلك التسمية مرتبطة بوجود بعض مشكلات معينة خاصة بطبيعة هذه المرحلة النمائية.
- ويُطلق أيضاً على هذه المرحلة (مرحلة بزوغ النمو الجنسي)، أو (مرحلة الشغف بالأمور الجنسية وحب الاستطلاع الجنسي واللعب الجنسي).

النمو النفسى الجنسي ومظاهره في مرحلة الطفولة المبكرة

يرى سيجموند فرويد مؤسس نظرية التحليل النفسي أن الإنسان منذ مرحلة الطفولة المبكرة يحمل طاقة جنسية غريزية (الليبيدو) تتطور معه في أثناء مراحل حياته المختلفة، واعتبرها المؤثر الأول في السلوك الإنساني.

وحسب نظرية فرويد فإن الفرد يمر خلال مراحل نموه النفسي الجنسي بخمس مراحل متتالية هي:

المرحلة الفمية (في السنة الأولى من العمر)، والمرحلة الشرجية (من سن ١-٣ سنوات)، والمرحلة القضيبية (من سن ٣-٦ سنوات)، ومرحلة الكمون (من سن ٦-سن البلوغ)، والمرحلة التناسلية الراشدة التي تمتد من سن البلوغ حتى آخر العمر.

واعتمد فرويد في تفسير نظريته على أن الطفل حديث الولادة يبدأ التعرف على أجزاء جسمه بالتدريج، ويتركز اهتمامه في مرحلة الرضاعة على الفم، وعندما يبدأ تعليمه التحكم في

إخراج الفضلات يركز اهتمامه على منطقة الشرج، وافترض أن الرضيع يمكنه الشعور بلذة جنسية من أي جزء من جسمه، ولكنه في سن البلوغ يتحول إلى الاهتمام بالجنس الآخر، وبذلك يتطور إلى المرحلة التناسلية التي تميز البالغين الناضجين.

ومن أهم مظاهر النمو الجنسي في مرحلة الطفولة المبكرة ما يلي:

العادة السرية:

عادةً ما يكون الأطفال شغوفين باستكشاف أجسامهم، فهم يستكشفون أيديهم وأقدامهم وآذانهم، وكذلك أعضائهم التناسلية، ويكتشفون أن ملامسة اعضائهم التناسلية فيها لذة، وأن هناك شعوراً ممتعاً يمكن الحصول عليه من هذه العملية، وهذا أمر شائع وطبيعي لدى الأطفال.

اللعب الجنسي

يُعتبر اللعب الجنسي والاستكشاف الجنسي مع الأطفال الآخرين من مظاهر النمو الجنسي الطبيعي في هذه المرحلة النمائية، شأنه في ذلك شأن العبث في الأعضاء التناسلية وحماية العادة السرية، حيث يؤدي حب الاستطلاع الجنسي لدى الأطفال من الذكور والإناث بالنظر إلى الأجسام العارية للآخرين ومحاولة لمسها سواء عند الأطفال الصغار أو الكبار، ولعل هذا ما نجده شائعاً لدى الأطفال من خلال ولعهم بألعاب مثل لعبة (الطبيب والمريض) أو (العريس والعروسة) أو (الأب والأم)، ويتضمن اللعب الجنسي بصفة عامة لدى الأطفال مدى واسع من الاستجابات المختلفة ، التي تشمل الألفاظ والحركات الجنسية والاستعراض الجنسي، والهدف الأساسي من ممارسة كل هذه الألعاب هو معاينة وملاحظة الاختلافات والفروق التشريحية بين الجنسين واستعراض الأعضاء التناسلية.

الاهتمام بالأمور والمسائل الجنسية وكثرة الأسئلة عنها:

تكثر لدى الأطفال في هذه المرحلة ، وبالذات من سن سنتين إلى عمر خمس سنوات بالانشغال والاهتمام والشغف بأمور وقضايا الجنس المختلفة، ويهتمون كذلك بأعضائهم الجنسية من الناحية التشريحية ، وسبب اختلافها بين الجنسين ، وكذلك الاهتمام بالدور الجنسي وقضايا الحمل والولادة والزواج .

وهناك أسئلة جنسية شائعة ومنتشرة يسأل عنها الأطفال بصورة كبيرة ومتكررة ولا يملون من طرحها باستمرار ، ومن امثلتها ما يلى :

- كيفية خلقه في بطن الأم؟
- من الذي صنعني؟
- من أين جئت؟
- كيف يدخل الطفل إلى بطن الأم؟
- لماذا لم يلد أبي مثل أمي؟
- لماذا ترضع الأمهات ولا يرضع الآباء؟
- لماذا لا يتزوج الأخ أخته؟
- لماذا يختلف العضو التناسلي لدى الولد عن البنت؟
- لماذا يتزوج الرجل المرأة ولا يتزوج رجلاً مثله؟
- كيف يولد الأطفال؟
- لماذا لا تحمل الطفلة الصغيرة؟
- لماذا لا تتبول البنت وهي واقفة مثل الولد؟
- لماذا لا يمتلك جميع الناس نفس العضو التناسلى ؟
- لماذا جئت بنتاً وليس ولداً؟
- لماذا تختلف ملابس الولد عن البنت؟
- لماذا بطن أمي كبيراً؟
- ما السبب في وجود ثديين للأم؟

وهنا يجب الإشارة إلى أنه : ينبغي ألا يؤخذ موضوع الجنس على أنه لغز لا يحل، بل يؤخذ الموضوع ببساطة، ولا يجب الظن بأن الأطفال لا يحتاجون إلى مثل هذه المعلومات، حيث أن الأطفال هم الذين يوجهون أنظار الآباء إلى أهمية هذا الموضوع عن طريق أسئلتهم الجنسية المتكررة المحيرة ، والتي تحتاج من كلا الوالدين لباقة في الإجابة، وحسن الانصات

والاستماع وحسن المعاملة الطيبة للولد أو البنت، وكذلك شعور الأبناء بالاهتمام بهذه الأسئلة، وأن الطفل جدير بالمدح لأنه فكر في هذه الأسئلة، وأن يضع الوالدين في اعتبارهما أن هذه الأسئلة الجنسية لها مغزاها وأبعادها، ويجب أن يتم الإجابة على هذه الأسئلة بكل وضوح وحذر ودقة ودون مبالغة أو تهرب، وان يكون هناك صدق في الإجابات بحيث يقتنع الطفل ويدخل الثقة والاطمئنان في نفسه، فتترسخ الإجابة في عقله ومخيلته بدون انفعال جنسي، وتصبح هذه المعلومات راسخة طوال فترة حياته (١٥).

التربية الجنسية في الطفولة المبكرة وغياب دور الأسرة

لما كانت الأسرة هي الحضن النفسي والاجتماعي والتربوي، وهي المؤسسة الاجتماعية الأولى المناط بها حسن الرعاية والتربية والتنشئة والاهتمام والتوجية والإرشاد في كافة مناحي الحياة الإنسانية المختلفة.

ولما كانت التربية الجنسية تُعد أحد الركائز والمحاور الأساسية التي يجب أن تتضمنها وتشملها بصفة خاصة التربية الأسرية الصحيحة، وذلك لدعم وتنمية وتزويد الطفل وبصفة خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة بمفاهيم ومهارات التربية الجنسية ، من خلال تزويدهم بمعارف ومعلومات علمية سهلة ومبسطة ، وإكسابهم سلوكيات جنسية ايجابية ، والرد على أسئلتهم دون تجاهل أو تأجيل أو تضليل أو تزييف أو تحريف بقدر ما تسمح به قدرات ومدركات واستعدادت الأطفال ووعيهم وفهمهم وتصوراتهم في هذه المرحلة.

وحيث أنه قد ثبت في دراسة سابقة للباحث الحالي عام (١٩٨٨) كان عنوانها "أثر استخدام برنامج إرشادي على التوتر النفسي لدى طالبات المرحلة الثانوية – دراسة تجريبية"، أن أهم الأسباب الرئيسية التى تقف وراء ارتفاع مستوى التوتر النفسي لدى المراهقات هو المشكلات الجنسية الناتجة عن انعدام التربية الجنسية في الأسرة (١٦).

كما ثبت أيضاً في دراسة تالية أخرى للباحث الحالي عام (١٩٩١) بعنوان "مدى فاعلية الإرشاد النفسي الفردي في تعديل مفهوم الذات وتخفيض الشعور بالوحدة النفسية لدى الحدثات المنحرفات جنسياً" حيث أن الأسباب الرئيسية التي تقف وراء الانحراف الجنسي لدى الحدثات

ترجع إلى وجود اضطرابات عميقة الجذور في شخصياتهن بسبب التكوين النفسي وأساليب التنشئة الاجتماعية المتزمتة وخبرات الطفولة السيئة وغياب التربية الجنسية نهائياً (١٧).

وتأكد ذلك تماماً في دراسة تالية للباحث الحالي عام (١٩٩٢) كان عنوانها "الأفكار الجنسية الشائعة لدى المراهقات في الريف والحضر" أن كثيراً من المراهقات لديهن موقف سلبي أو مشوش أو مرضي تجاه الأمور الجنسية، وكانت تلك النتيجة راجعة إلى أن اتجاهاتهن نحو الأمور الجنسية تتكون أساساً في وقت مبكر جداً من مرحلة الطفولة، وأنه نتيجة لعدم حصولهن فى مرحلة الطفولة على التربية الجنسية المناسبة، فإنه مع تقدم العمر وفي مرحلة المراهقة تتراكم لدى المراهقات اتجاهات ومعلومات غير صحيحة ، حتى لقد وصل الأمر إلى أن مظاهر نضجهن السوي الطبيعي تقابل لديهن برصيد ضخم من القلق والخوف والاشمئزاز والرعب وعدم التقبل، وفي ذلك الوقت قد يكون من الصعوبة بمكان إزالة تلك المفاهيم والاتجاهات والمخاوف الخاصة بالجنس لديهن . (١٨).

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام : أنه قد أصبح من المسلم به، بل والمؤكد والثابت علمياً أن النمو الجنسي ، إذا أحيط بغلاف من التحريم والتكتم والتمويه وإذا أغمض الوالدان والمربون أعينهم ، وأصموا آذانهم وكموا أفواههم، ولم يقوموا بواجبهم في التربية الجنسية لأطفالهم، بحث هؤلاء الأطفال عن مصادر أخرى لإشباع حاجاتهم إلى المعرفة في هذا الشأن، وربما اتجهوا إلى غير أهل العلم والثقة والضمير والأخلاق، وربما تطوع هؤلاء بهذه المعلومات في غير أوانها، وربما اتجهوا إلى الأفلام الجنسية والكتب المثيرة، والنتيجة المؤسفة هي المعلومات الخاطئة والوقوع في التجريب والشعور بالاشمئزاز والإثم والخطيئة والخوف والقلق والانحراف الجنسي والاضطراب الجنسي، ولو فرضنا جدلاً أن الطفل ظل جاهلاً بالمسائل الجنسية، فإن المشاعر والأحاسيس الجنسية حين تدفق مع المراهقة فجأة وبعنف، قد تزعجه وتخيفه، وقد يترتب على ذلك الانحراف أو الشقاء الزوجي والأمراض النفسية، ومن كل هذا نلمس أن مدى الحاجة للتربية الجنسية ليس مهماً للكبار فقط، بل هو

كذلك يهم الأطفال الذين يريدون معرفة الكثير عن أعضاء التناسل والفروق بين الجنسين وتعلم دورهم الجنسي المناسب (١٩).

التربية الجنسية في الطفولة المبكرة والتطلع إلى دور الروضة

هناك حقيقة لا يمكن انكارها، وهي أن الأب والأم هم أنسب وأفضل من يقدم التربية الجنسية للأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة، ولكن للأسف الشديد كما ظهر من خلال تناول النقطة السابقة أن الأسرة في واقع الأمر قد فشلت فشلاً ذريعاً في القيام بدورها التربوي تجاه هذه القضية الشائكة الحساسة بالذات بالنسبة للوالدين أو الراشدين.

ولعل ما يبرر ذلك هو أن كثيراً من الآباء والأمهات ليس لديهم أساساً تربية ملائمة أو كافية عن الجنس، وبالتالي ليس لديهم أي خبرة للتحدث عن الجنس مع أطفالهم، كما أن هناك كثيراً من البالغين لديهم صعوبة في الكلام عن هذا الموضوع، ولذلك فإنه يجب أن تدعم التربية الجنسية خارج نطاق الأسرة والمنزل، وهنا تكون مؤسسة الروضة هي البديل التربوي (٢٠).

وعليه فإن الروضة تمثل في جوهرها أول المؤسسات التربوية والتعليمية خارج نطاق الأسرة، ذات التأثير الكبير في التربية الجنسية للطفل، ففيها تنمو لدى الطفل الأسس العريضة لآداب السلوك والإدراك المعنوي والمشاعر والعادات والعلاقات مع الآخرين، من خلال تفاعله مع أقرانه، وكذلك المعلمة باعتبارها مسئولة عن تزويد الأطفال بالمبادئ الأساسية الضرورية فيما يتعلق بتقبله لهويته، وتعليم الطفل السلوكيات الإيجابية للحفاظ على نفسه (٢١).

ومما سبق يتضح أن مؤسسة الروضة هي أول المؤسسات التربوية الاجتماعية خارج نطاق الأسرة وهي الوسط الذي ينمو فيه خارج بيئة الأسرة، لتكون بمثابة تمهيد واسع وعريض لتقديم الخبرة المناسبة المستمرة من المعرفة والمهارات العلمية المحسوسة.

ولقد اتفقت نتائج العديد من الدراسات التربوية في توصياتها ومقترحاتها على أهمية توعية الطفل جنسياً، وضرورة تضمين خبرات وسلوكيات التربية الجنسية في أنشطة البرامج التعليمية الموجهة لطفل الروضة (٢٢).

هذا وتشير نتائج مختلف الدراسات التربوية إلى أن الأنشطة التربوية المتكاملة تعتبر أحد المداخل المناسبة التي يمكن الاعتماد عليها في تعليم طفل الروضة وتوجيهه، حيث تقوم على أساس مراعاة خصائص وقدرات واستعدادات وميول الطفل في كل ما يقدم له من معارف وسلوكيات ومهارات مختلفة ترتبط بحياته مثل المعارف عن نفسه وصحته وجنسه (٢٣).

واستناداً لما جاء بوثيقة المعايير القومية لرياض الأطفال (٢٠٠٨) من أن تحقيق الجودة الشاملة في المجال التربوي يشير إلى مجموعة المعايير والإجراءات التي تهدف إلى التحسين المستمر في المنتج التعليمي، كما يشير إلى المواصفات والخصائص المتوقعة في الخدمة التعليمية، وفي العمليات والأنشطة التي تتحقق من خلال المواصفات، لهذا فقد اهتمت الوثيقة بالطفل المصري ووضعت له رؤية، وعلى ضوئها تم صياغة وثيقة المعايير، فهو طفل ينمو نمواً شاملاً متكاملاً متوازناً قادراً على معرفة حقوقه وواجباته وممارستها، بما يمكنه من الشعور بالانتماء والمواطنة وقبول واحترام التنوع والمساواة وتحمل المسئولة واتخاذ القرار والمشاركة المجتمعية والتعليم والتعلم النشط الإيجابي عالي الجودة من خلال اللعب والبحث والاستكشاف (٢٤).

ولعلنا في هذا المقام نطالب من المسؤلين بوزارة التربية والتعليم المنوط بهم الاهتمام بهذه القضية و معالجتها وتطبيقها ، بضرورة إعادة النظر في تحقيق ما تم صياغته فى بنود وثيقة المعايير القومية لرياض الأطفال ، حتى يتحقق على أرض الواقع العلمى والعملي والمجتمعي ما يكتنفها من نقص وعدم شمولية صريحة وواضحة ومحددة لمبادئ التربية الجنسية في مرحلة رياض الأطفال وأنشطتها وبرامجها.

جوانب التربية الجنسية المناسبة لطفل الروضة

يكتفي الباحث الحالي في هذا السياق بالرجوع إلى أحدث الدراسات التي تم إجراءها بهذا الخصوص، وهي الدراسة التي سبق الإشارة إليها تحت عنوان "أثر برنامج مقترح قائم على الأنشطة المتكاملة لتنمية جوانب التربية الجنسية لدى طفل الروضة".

حيث فد أجادت الباحثة تناول التربية الجنسية لطفل الروضة من منطق الإحساس بالمسئولية تجاه المتغيرات والمشكلات التي يتعرض لها طفل الروضة في الوقت الراهن، وبشكل بعيد كل البعد عن تناول التربية الجنسية كما تطرح في المراحل التعليمية الأعلى وبشكل يتناسب مع خصائص و استعدادات وقدرات الطفل في هذه المرحلة.

حيث قد قامت الباحثة بتحديد جوانب التربية الجنسية التي تلائم أطفال مرحلة الروضة، وذلك في ضوء الإطلاع على الأدبيات والدراسات السابقة العربية والأجنبية التي اهتمت بالتربية الجنسية والتي تمثلت فيما يلي:

- الهوية الجنسية.
- العناية الذاتية بالجسم.
- الأمان في التعامل مع المحيطين.

واعتمد البرنامج في مضمونه على الأنشطة المتكاملة التي تشتمل على:

- النشاط الفني – النشاط الحركي – نشاط لعب الأدوار – النشاط القصصي – نشاط الحوار والمناقشة – الأنشطة الموسيقية (٢٥).

المراجع

(١) عسكر، عبد الله (٢٠٠٥): الاضطرابات النفسية للأطفال، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ص ١١٦.

(٢) توصيات المؤتمر العربي الأول للصحة النفسية (١٩٧٠): القاهرة، ديسمبر.

(٣) توصيات مؤتمر الطفولة العربية (٢٠٠١): الواقع وآفاق المستقبل، جامعة جنوب الوادي.

(٤) توصيات مؤتمر الطفل العربي في ظل التحديات المعاصرة (٢٠٠٤): كلية البنات، جامعة عين شمس.

(٥) توصيات مؤتمر حماية وتربية الطفل العربي (٢٠٠٥): كليتى التربية النوعية والحقوق، جامعة الزقازيق.

(٦) زهران، حامد (١٩٩٥): علم نفس النمو: الطفولة والمراهقة، الطبعة الخامسة، القاهرة، عالم الكتب، ص ٤٤١.

(٧) صالح، نرمين وتهامي ، هشام (٢٠١٣): التربية الجنسية، المجلة المصرية لعلم النفس الإكلينيكي والإرشادي، المجلد الأول، العدد الأول، ص ص ١٢٧-١٥٦.

(٨) عسكر، علي (٢٠٠٠): ضغوط الحياة وأساليب مواجهتها، الكويت، دار الكتاب الحديث، ص ٩٤.

(٩) عسكر، عبد الله: مرجع سابق، ص ١١٦.

(١٠) حمودة، محمود (٢٠١١): الطب النفسي: الجنس مشكلات وعلاج، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ص ١٤٠-١٤١.

(١١) زهران، حامد: مرجع سابق، ص ٤٤٢.

(١٢) أبو زيد، الحسيني (٢٠٠٨): التربية الجنسية في مصر والولايات المتحدة وبعض الدول الأوربية – دراسة تحليلية مقارنة، مجلة كلية التربية، جامعة طنطا، العدد الرابع، ص ص ٧٥-١١٣.

(١٣) القداح، أمل (٢٠١٣): أثر برنامج مقترح قائم على الأنشطة المتكاملة لتنمية جوانب التربية الجنسية لدى طفل الروضة، مجلة الطفولة، كلية رياض الأطفال، جامعة القاهرة، العدد الرابع عشر، ص ص ٣٥-٩٩.

(١٤) زهران، حامد: مرجع سابق، ص ٤٥٤.

(١٥) العطار، محمد (٢٠٠٥): أطفالنا والتربية الجنسية (رؤية نفسية تربوية)، مجلة علم النفس العربي المعاصر، المجلد الأول، العدد الرابع، ص ٨٩.

(١٦) عامر، جمال (١٩٨٨): أثر استخدام برنامج إرشادي على التوتر النفسي لدى طالبات المرحلة الثانوية – دراسة تجريبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس.

(١٧) عامر، جمال (١٩٩١): مدى فاعلية الإرشاد النفسي الفردي في تعديل مفهوم الذات وتخفيض الشعور بالوحدة النفسية لدى الحدثات المنحرفات جنسياً، المؤتمر العلمي الخامس للخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان.

(١٨) عامر، جمال (١٩٩٢): الأفكار الجنسية الشائعة لدى المراهقات في الريف والحضر، مجلة علوم وفنون: دراسة وبحوث، جامعة حلوان، المجلد الرابع، العدد الأول.

(١٩) زهران، حامد: مرجع سابق، ص ٤٤٢.

(٢٠) صالح، نرمين وتهامي، هشام: مرجع سابق.

(٢١) الحبيب، علي والهولى، عبير (٢٠٠٩): منهج رياض الأطفال الحديث: الأنشطة وأسس بناؤه، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ص ٣٦.

(٢٢) القداح، أمل: مرجع سابق، ص ٥٥.

(٢٣) محمد، عواطف (٢٠٠٤): الطرق الخاصة بتربية الطفل وتعليمه في الروضة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٤٠.

(٢٤) وثيقة المعايير القومية لرياض الأطفال (٢٠٠٨): مطابع وزارة التربية والتعليم.

(٢٥) القداح، أمل: مرجع سابق، ص ص ٥٧-٦٨.